هو

۱۲۱

تفسير الصافی

الجزء الأول

ملامحسن فيض كاشانی

به‌کوشش: زهرا خالوئی

في الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث من سرّه أن يعلم أن اللّه يحبّه فليعمل بطاعة اللّه و ليتّبعنا ألم تسمع قول اللّه عز و جل لنبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) و اللّه لا يطيع اللّه عبدٌ ابداً الا ادخل اللّه عليه في طاعته اتباعنا و لا و اللّه يتّبعنا عبد ابداً الا أحبّه اللّه و لا و اللّه لا يدع احد اتباعنا ابداً الا أبغضنا و لا و اللّه لا يبغضنا احد ابداً الا عصى اللّه و من مات عاصياً للّه أخزاه اللّه و أكبه على وجهه في النار.

وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ بالتجاوز عمّا فرط منكم وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لمن تحبّب اليه بطاعته و اتباع من أمر اللّه و نبيه باتباعه، و روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء اللّه و احباؤه و قيل نزلت في وفد نجران لمّا قالوا انما نعبد المسيح حبّاً للّه و قيل في أقوام زعموا على عهده صلّى اللّه عليه و آله و سلم انهم يحبّون اللّه فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقاً من العمل.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا يحتمل المضيّ و المضارعة بمعنى فان تتولّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ لا يرضى عنهم و لا يثني عليهم قيل إنما لم يقل و لا يحبّهم لقصد العموم و الدلالة على أن التولي كفر و انّه بهذه الحيثيّة ينفي محبّة اللّه تعالى و ان محبته مخصوصة بالمؤمنين.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ بالرسالة و الخصائص الروحانية و الفضائل الجسمانية و لذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسل و بيّن انها الجالبة لمحبّة اللّه، عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضاً عليها و به استدل على فضلهم على الملائكة و آل إبراهيم إسماعيل و إسحاق و أولادهما و آل عمران: موسى و هارون ابنا عمران بن يصهر ابن فاهث ابن لاوي بن يعقوب و عيسى و امّه مريم عليها السلام بنت عمران بن ماثان و ماثان ينتهي بسبعة و عشرين اباً إلى يهود بن يعقوب و بين العمرانين ألف و ثمانمائة سنة كذا قيل.

أقول: و قد دخل في آل إبراهيم نبيّنا و اهل بيته عليهم السلام.

العياشي عن الباقر عليه السلام انه تلا هذه الآية فقال نحن منهم و نحن بقيّة تلك العترة.

و في المجالس عن الصادق عليه السلام قال قال محمد بن اشعث بن قيس الكندي لعنة اللّه عليه: للحسين عليه السلام يا حسين بن فاطمة صلوات اللّه عليهما ايّة حرمة لك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليست لغيرك فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ) الآية ثم قال و اللّه إنّ محمّداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم لمن آل ابراهيم و ان العترة الهادية لمن آل محمد صلوات اللّه عليهم.

و في العيون: في حديث الفرق بين العترة و الأمّة فقال المأمون هل فضّل اللّه العترة على سائر الناس فقال ابو الحسن عليه السلام ان اللّه تعالى ابان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه فقال له المأمون أين ذلك من كتاب اللّه فقال له الرضا عليه السلام في قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ.

و القمّي قال العالم عليه السلام نزل وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ و آل محمد صلوات اللّه عليهم عَلَى الْعالَمِينَ فاسقطوا آل محمد عليهم السلام من الكتاب.

و العياشي عن الصادق عليه السلام قال و آل محمد كانت فمحوها.

و في المجمع و في قراءة اهل البيت و آل محمد صلوات اللّه عليهم عَلَى الْعالَمِينَ و قالوا ايضاً ان آل ابراهيم عليهم السلام هم آل محمد صلوات اللّه عليهم الذين هم أهله و يجب أن يكون الذين اصطفاهم اللّه تعالى مطهّرين معصومين منزّهين عن القبائح لأنه سبحانه لا يختار و لا يصطفي الا من كان كذلك انتهى كلامه.

أقول: و على هذه القراءة يكون من قبيل عطف الخاص على العام كعطف آل عمران بكلا معنييه على ابراهيم عليهم السلام.

زير سورت آل عمران

و في المعاني عن الصادق عليه السلام انه سئل عن معنى آل محمد عليهم السلام فقال آل محمد صلوات اللّٰه عليهم من حرم اللّٰه عز و جل على محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم نكاحه.
و عنه عليه السلام ان آل محمد صلوات اللّٰه عليهم ذريته و أهل بيته الأئمة الأوصياء و عترته أصحاب العباء و امّته المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند اللّٰه المتمسّكون بالثقلين الذين أمروا بالتمسّك بهما كتاب اللّٰه و عترته أهل بيته الذين اذهب اللّٰه عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً و هم الخليفتان على الأمة بعده.
ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ الذرية يقع على الواحد و الجمع يعني انهم ذريّة واحدة متسلسلة بعضها متشعّبة من بعض.
و في المجمع عن الصادق عليه السلام في بيانه ان الذين اصطفاهم اللّٰه بعضهم من نسل بعض.
و العياشي عنه عليه السلام انّه قيل له ما الحجة في كتاب اللّٰه ان آل محمد هم أهل بيته صلوات اللّٰه عليهم؟ قال قول اللّٰه عز و جل (إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ و آل محمد هكذا نزلت عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) قال و لا يكون الذرية من القوم الا نسلهم من أصلابهم.
وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ بأقوال الناس عَلِيمٌ بأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول و العمل.
إِذْ قالَتِ اذكر إِذْ قالَتِ السَّمِيعُ بقول امرأة عمران الْعَلِيمُ بنيّتها إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ هي امرأة عمران بن ماثان امّ مريم البتول جدّة عيسى بنت قافوذا و المشهور ان اسمها حنّة كما يأتي عن الصادق عليه السلام.
و في الكافي عن الكاظم عليه السلام انه قال لنصراني امّا امّ مريم فاسمها مرثار و هي وهيبة بالعربية.
رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً معتقاً لخدمة بيت المقدّس لا أشغله بشيء فَتَقَبَّلْ مِنِّي ما نذرته إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لقولي الْعَلِيمُ بنيّتي.
فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بما وَضَعَتْ اعتراض و هو قول اللّٰه وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى من تتمّه كلام امرأة عمران، و قرئ بما وَضَعْت على انّه من كلامها تسلية لنفسها أي و لعل للّٰه فيه سراً او الأنثى كان خيراً.
و رواها في المجمع عن علي عليه السلام في الكافي و القمي عن الصادق عليه السلام قال ان اللّٰه أوحى إلى عمران انّي واهب لك ذكراً سوياً مباركاً يبرئ الأكمه و الأبرص و يحيي الموتى بإذن اللّٰه و جاعله رسولًا إلى بني إسرائيل فحدّث عمران امرأته حنّة بذلك و هي امّ مريم فلمّا حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى لا تكون البنت رسولًا يقول اللّٰه تعالى: (وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بما وَضَعَتْ) فلما وهب اللّٰه لمريم عيسى عليه السلام كان هو الذي بشّر به عمران و وعده إيّاه فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً و كان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك.
و العياشي عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه.
و عن الصادق صلوات اللّٰه عليه ان المحرّر يكون في الكنيسة لا يخرج منها فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى ان الأنثى تحيض فتخرج من المسجد و المحرّر لا يخرج من المسجد، و عن أحدهما عليهما السلام نذرت ما في بطنها للكنيسة ان يخدم العباد و ليس الذكر كالأنثى في الخدمة قال نشبت وكانت تخدمهم و تناوئهم حتى بلغت فأمر زكريا ان يتخذ لها حجاباً دون العباد.
وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ انه قلت ذلك تقرّباً إلى اللّٰه و طلباً لأن يعصمها و يصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وَ إِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَ ذُرِّيَّتَها أجيرها بحفظك مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ المطرود و اصل الرّجم الرّمي بالحجارة.
في المجمع عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم ما من مولود يولد الا و الشيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسه الّا مريم و ابنها، قيل معناه ان الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر من طمعه فيه الّا مريم و ابنها فان اللّٰه عصمها ببركة هذه الاستعاذة.